

الوسامة في ديوان الوسمي "على عتبات الضوء"

تكمّن الوسامة في هذا الديوان من عنوانه وترتيب أبوابه وجمال قصائده. فالحرف "على" يفيد الاستعلاء واستخدامه هنا حسي لأن الضوء ليس له طهر، وهناك استعمالات أخرى له كالاستعمال المعنوي والاستعمال الطرفي. والعتبة هي المرقاة وبداية السلم أو البداية لدخول الباب، كما تشير إلى ذلك صورة الغلاف. والضوء معروف. فكأن الشاعر يوحى إلينا أن ديوانه بالرغم من جماله وسامته إلا أنه باكورة أعماله وأن استعلائه وتمكنه من شكّم لجام الشعر لدليل على الآتي من العطاء. جمال الترتيب والتبويب: هنا أيضا وفق الشاعر الوسمي في تبويب ديوانه. فلقد جاء التبويب متناغما ومتماشيا مع العنوان.

*عتبة الغزل: كما أن العتبة بداية ومرقاة للشيء فغزلي ليس له حدود وهو كالضوء ينتشر كما تنتشر الشمس في أنحاء المعمورة. وتعرفه قوافي الشعر وبحور الشعر قبل أن يعرفه المحبوب. تعرفه الآفاق والأجواء قبل الأقطار والأنحاء.

أنا (الوَسميُّ) تعرفُني القوافي ... يُرتل عالمي وحيُّ الجمالِ وتعلّو الشَّهبُ في فلكِ اعتلائي ... ويرقُبُ موعدي قلبُ الهلالِ أرى شعري تُغازِلُهُ الثريا ... وتسألني متى يَـومُ الوصالِ

ومن فرط وسامة الشعر وجمال بيانه تنلهف الثريا التي إن قلنا مجازا عن المحبوب فما أجمله من تشبيه وهل هناك أجمل من الثريا، أن يتغزل فيها شاعرنا الوسمي. وإن أخذناها على الحقيقة لا المجاز فياله من اختيار موفق إذ ترى الحياة والحركة والحس في هذا المخلوق إذ ينتظر من يتغزل فيه. كذلك الشهب والهلال. هنا أيضا صورة جمالية رائعة في قصيدة أنا أهواك. حينما يخاطب محبوبته وهو معتزا ومفتخرا ومتباهيا بأنه عصامي في الشعر فهو بنى شعره بذاته لأجل أن تسكن محبوبته ولها وحباً وطماً نينةً ارتياحاً. وكلمة السكن تحتوي على كل معاني الراحة، ولقد جاء في الذكر الحكيم: " ليسكن إليها". هذه المحبوبة التي استدعاها لتسكن حصون شعره ليست ككل الناس بل هي شيء آخر، هي الطينة التي خلقها منها شاعرنا الوسمي. وهنا منتهى الذوبان في المحبوب بل جعل كيانه المادي والمعنوي كله هي:

بنيتُ حصُونَ أشعاري بذاتي ... تعالي واسكُنني ولهاَّ حُصُوني فسبحان الذي سوَّك حُسناً !! ... وقال الـ : للوسميِّ " كُوني "

إن ابداع الشاعر يكمن في توظيف كل انواع الشعر...وهذا ما تلمسه في شاعرنا الوسمي...فهو يبرع في شعر التفعيلة " الشعر الحر " كما يبرع في الشعر العامودي بدون تكلف ولا تصنع. صورة من الجمال الشعري هنا في قصيدة " عالَمٌ فاتِنٌ". هذه المحبوبة التي تختال بجمال عينيها وبريق نظراتها تأسر كل ذي لب فهي لم تأسر الوسمي فقط وتصرعه أرضا بناظرها " ما أجمل كلمة بارقها، اشارة إلى جمال لمعان عينيها وتوهجها "، بل اسرت جميع الرجال. تعال معي لنقف على هذه الصور الغزلية الجميلة ولنتخيل أنفسنا مكان الوسمي لنرى ما تفعل بنا هذه الأنثى:

وكم ترمي بوسمٍ العينِ رُوحِي؟! وتقذفُني بنظرِتها نِبالُ هيَ الأنثى.. وتحكمُ بافتِرتانٍ وتهوي عند بارقيها الرجالُ ... أحاديثُ الهوى تحكي هواها وعن (ليلايَ) كم قالوا وقالو؟! ... انا الموسومُ عشقاً في هواها ويخضعُ لي بضحكتِها المُحالُ

لن نطيل الاستغراق في عتبة الغزل وإن كانت جميلة وجاذبة لكي لا نسرق متعة قراءة الديوان من القارئ، فهناك قصائد جميلة فيها صور شعرية رائعة وفيها ذوق غزلي رفيع تنبيك عن براعة الشاعر في اختيار المفردات والتشبيهات والمجاز والخيال الشعري. لقد احتوت عتبة الغزل على ٤٤% من صفحات الديوان مما يدل على شفافية وجمال روح شاعرنا الوسمي.

وهنا ليَ وقفة قصيرة، لطالما كان أبا حيدر يتحفني بأبياتٍ غزلية جميلة في الطبيعة والمحبة وفي غيرها من الأغراض الشعرية وكنت اعلق عليها بالثناء الجميل والإعجاب وكان يبادلني الثناء والشكر مما يدل على قلبه الجميل الذي يحتوي الجميع. *عتبة الرثاء: كما يكمن الجمال في اظهار الفرح والسرور كذلك يكمن في اظهار الحزن واللوعة والأسى على فراق الأحبة، مما يؤدي بالنتيجة بذكر صفات المرثي وبعطائه والتعني بإنجازاته وسيرته العطرة. شاعرنا الوسمي لم يكن بدعا من الشعراء، فهو كما برع في عتبة الغزل كذلك بدع في عتبة الرثاء...وكما قلنا في مقدمة القراءة أن معنى العتبة هي المرفاة والدخول إلى أفق اوسع وأجمل. هذا ما لمستته في براعة وجمال قصائد الرثاء في هذه العتبة. لقد قرأت قصائد رثاء جميلة جدا وموفقة للشاعر الوسمي بعد طباعة هذا الديوان وهذا دليل واضح على تألق ورقي شاعرنا وتطور قريحة الشعر لديه. يكفي أن تعطي شاعرنا الوسمي سيرة عن شخصية من الشخصيات وإن بعدت عنه عقودا من السنين ليخرج منها بمرثية ذات صور شعرية جميلة جدا. هذا ما عايشناه شخصا مع الشاعر الوسمي حينما طلبنا منه المشاركة في حفل الشيخ العلامة الشيخ باقر بوخمسین بمناسبة مرور ٣٠ سنة على رحيله. لم يبخل علينا الوسمي بل شارك بقصيدة جميلة في العنوان وحلوة في البيان: باقر الإشراق: في سيرة العلامة الشيخ باقر بوخمسین قدس سره عالما وفقها وأديبا.

مَا زِلْتَ تَبْعُثُ فِي الدُّنْيَا الْأَصْوَاءَ ... وَالشَّمْسُ تَحْرُزُ بِاسْمِكَ الْعَلِيَاءَ يَا
بَاقِرَ الْإِشْرَاقِ... نَبْعُكَ أَنْجُمٌ ... تَزْهَوُ وَتَكُونُ تَسْرِجُ الطَّلَامَ بِهَاءَ يَا ابْنَ
الْأَكَارِمِ وَابْنَ " مُوسَى " وَالْعُلَى ... أَشْرَقْتَ شَمْسًا أَحْيَيْتَ الْآبَاءَ وَأَبَاءَ بَعْطَفِكَ
كُنْتَ تَغْدِقُ حَانِيَاءَ ... وَلِكَ الْعَمَائِمُ أَضَحَتْ الْأَبْنَاءَ وَبَذَلْتَ عُمُورَكَ
لِلْعِلْمِ وَلِلتَّقَى ... مَا رَاحَ إِرْثُكَ فِي الزَّمَانِ هَبَاءَ

لا أخال بيتا من بيوت أهالي الأحساء لم يتفجع برحيل صاحب الرسالة العظمى سماحة الشيخ عيسى الحبارة
رحمة الله عليه في يوم فقده الأليم. هذا العالم الشيخ ولج إلى قلوب الآلاف من المؤمنين والمؤمنات. كان
حقا على الشعراء والأدباء أن ينبروا لرائه وتأبينه. شاعرنا الجميل أبا حيدر يرسل " حمم الشجى "
قصيدة لتسطر في ديوان العرب قبل أن تسطر في عتبات الضوء. قصيدة وفقت في جمال القافية
والمعنى والصورة:

" عيسى .. وَيَبْزُغُ فِي كَيَانِكَ "عيسى" ... وَمَدَى حَدِيثِكَ يَلْهَمُ التَّقْدِيرَ
كَلِمَاتُكَ الْحُبْلَى بِهَدْيِكَ كَوْثَرُ ... وَتُعِيدُ لِلدُّنْيَا مَعَاجِرَ
"مُوسَى" أَنْتَ الْمُجَلَّلُ بِالْمَآثِرِ قُدْوَةٌ ... وَبَعَثْتَ مِنْ وَحْيِ الْهَدَى
"إدريس" لَكَ مِثْرَةٌ عَكَسَتْ مَلَامِحَ أَحْمَدٍ ... وَبِكَ السَّجَايَا.. حَطَّمَتْ " إِبْلِيسَا "
وَمَلَأَتْ دُنْيَانَا الْعَصِيَّةَ بِالتَّقَى ... وَأَضَاتَ فِكْرَكَ فِي الدُّجَى " فَنُوسَا "
قَدْ مَآغَلَكَ الْقُدُّوسُ تَحْفَةَ آيِهِ ... وَإِلَيْهِ رُحْتَ مُعْطًى مَا فَادِيسَا

اقتباس موقف من الكتاب الكريم في هذه القصيدة الجميلة لأربعة أنبياء بسجاياهم وأخلاقهم ومعجزهم
فالكلمات: (كيانك عيسى.. معجز موسى.. الهدى ادريس...ملاح أحمد) اضفت حركة وحياة خالدة لهذه
القصيدة. كما كان التوفيق في مطلع القصيدة بالاقتباسات الجميلة، جاء الختام بصيغة " فعيل للمبالغة
لهذا العبد الصالح الشيخ " عيسى " بالصلاح والطهارة باستخدام صفة القديس . * عتبة الإخوانيات: في
العتبة الثالثة وهي عتبة الإخوانيات والمناسبات نرى جمال الشاعر في توظيف هذا النوع من أدب
الإخوانيات كفنٍ بارزٍ، له خصائصه الفارقة التي تميزه عن الألوان الأدبية الأخرى، تشترك معه في
اعتمادها على التواصل والتبادل. وتهدف إلى مدِّ أواصر الصداقة وتوطيدها بين الأهل والأصدقاء والأدباء
والشعراء، إلى جانب كشفها للطاقت الإبداعية التي يحشدها الشاعر لإثبات إتقانه للمحاورات
والمناظرات أمام الآخرين. ما أجمل أن تفتح هذه العتبة بإخوانية لأقرب الأرحام وهي الأم. هذا ما فعله
الوسمي، ملبيا نداء حديث من أحق الناس بحسن الصحبة يا رسول الله: قال أمك. في قصيدة " أُمِّي "
أنشودتي التي لا تخبو أبدا:

أُمِّي وَأَنْتَ جَنَّانٌ إِيَّاهُ عَظَّمَهَا ... بِالْفَضْلِ وَالْحُبِّ وَالْإِجْلَالِ وَالْقَدْرِ سِرَّ خَفِيٍّ
مِنَ الْأَسْرَارِ وَالِدَتِي ... قَدْ خَمَصَّكَ إِيَّاهُ حُبُّ الصَّفْوَةِ الْغُرُرِ بِدَمْعَةٍ مِنْكَ تَخْبُو النَّارُ
وَانْكَشَفَتْ ... مِنْ عِطْفِ قَلْبِكَ دَوْمًا لَوَعَةُ الْكَدْرِ

هنا اقتباس جميل لحديث " الجنة تحت أقدام الأمهات، وتأصيلا لهذا المعنى بالشعر.

هناك جمال آخر لقصائد الإخوانيات وهي إخوانيات الأصدقاء إذ أنها تعزز روح الأواصر بين الأصحاب
والأصدقاء، بل تمتد إلى العشيرة والقرية. هذا ما رام إليه شاعرنا الجميل ناصر وهي لفظة جميلة منه.
جاءت هذه اللفظة في قصيدة خَطِيبُ بثوبِ البهاء في جناب الشيخ علي الحجّبي:

أَنْتَ الْخَطِيبُ الشَّاعِرُ الْفَذُّ الَّذِي ... أَهْدَى مَعَيْنَ الْحُبِّ لِلشَّعْرَاءِ
بَيْنَ الْقُرَى قَدْ كُنْتَ رِيْفَ حُقُولِنَا ... تَنْدَسَابُ نَبْعًا مِنْ عِيُونِ الْمَاءِ "
الْجَرْنُ " وَ " الطَّارِفُ " الْعَزِيزَةُ أُخْتُهَا ... يَحْلُو هَوَى السَّمَرَاءِ وَالشَّقَرَاءِ هَذَا
انْتِمَاؤُكَ لِلْجَمَالِ مُقَدَّسٌ ... مِثْلَ انْتِمَاءِ النَّخْلِ " لِلْأَحْسَاءِ "

انظر كيف وطف الوسمي هذه الإخوانية ليرقى بعتبة الصّحة والمحبة والصداقة من النطاق الضيق الفردي
إلى النطاق الأوسع " الجرن " والطرف". *عتبة البلدان؛ وسامة هذه العتبة تنطلق من عدة عوامل - عامل
حب الوطن من الإيمان - عامل الانطلاق إلى العلاقات الشاملة - عامل الولاء للوطن كما قلنا سابقا نكرره
لاحقا في هذه العتبة ينطلق الشاعر من الحب المحدود إلى الحب الا محدود. من حب الوطن إلى حب
البلدان، لذا نرى الشاعر لا يقتصر على وطنه فقط بل يتعداه إلى دول الخليج بل إلى الدول العربية
الأخرى " يا أيها الناس إنا خلاقناكم مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا
وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا".

وطني؛ المملكة العربية السعودية وطني تَأَلَّقَ في تخوم الدُّنْيَا وَرُبَاهُ خُلِدْتُ عَشْتُ فِيهِ وَأَحْيَا
... وطني أَطِيرُ بِشَاوِهِ نَحْوَ الذُّرَى وَبِرْمَالِهِ النَّبْوِيِّ أَهْوَى الْمَشْيَا ... هِيَ مَوْطِنِي وَأَنَا بَغِيرُ
تَرَابِهَا مُتَشَرِّدٌ فِي الْبُعْدِ أَرعى النَّفْيَا

وفي قصيدة الكويت يتغنى الشاعر بهذه الأبيات:

فهذه الكويتُ ربيعُ الوجُود ... فِيهَا أَيُّهَا الْمَجْدُ .. عَرَّجَ هُنَا فَهَذِي الْكُوَيْتُ الَّتِي

تَزُدهي ... بِحُسْنٍ، وفيها يزُولُ العَنا

- ومن قصيدة على ضفاف نهر النيل تنساب هذه الأبيات الرقراقة: مِصر الجَمالِ لكِ الأشواقُ
تندلقُ... " نيلًا "، وكُلُّ جَمالٍ منكِ يندُفِقُ وأنتِ " يوسفُ " حُسْنٍ مَنَ لهُ
مُهجٌ...أضْحَتُ " زُلَيْخَةَ " بالأشواقِ تحترِقُ بنيَّتِ في الروحِ أهْراماً مُشيدهً...
تَغَارُ مِنْهَا السَّمَا، والنَّجْمُ والأفُقُ

توظيف الاقتباسات في هذه الأبيات الجميلة تجعل القصيدة ذات حياة متحركة فيها وفي قارئها.

تجد في هذه العتبات:

وسامة الشاعر

وسامة القصيدة

وسامة الجملة

وسامة الكلمة

وسامة التشبيه

وسامة الاقتباس

وسامة المعنى

وسامة الصفة في هذه العتبات أضواء جميلة اتحفنا بها الشاعر الجميل أبا حيدر ناصر الوسمي. كلي ثقة
بأن الشاعر يمتح من عين شعر صافية ولم يخرج ما في جعبته من فنون وأغراض الشعر... نتمنى له دوم
الألق ومزيدا من الإصدارات.